مقدمة
اجلس بنا نؤمن ساعة

بين يدي هذه السلسلة
في بيان غايتها ومنهجها

لن ينفك الداعية المؤمن بين جَذبين:

جذب إيمانه، ونيته، وهمته، ووعيه، وشعوره بمسئوليته، فهو من ذلك في عمل صالح، أو عزمه خير.

وجذب الشيطان من جهة أخرى، وتزيينه الفتور، وحب الدنيا، فهو من ذلك في غفلة، وكسل وطول أمل، وتراخ عن تعلم ما يجهل.

وهذا التردد بين الجذبَين قديم لا ينقطع، وبسببه، أوجب المؤمنون على أنفسهم جلسات تفكر وتأمل وتناصح، يتفقدون فيها النفس أن يطرأ عليها كبر أو بطر، والقلب أن يعتوره ميل، والعلم والإيمان أن يتلبسا بإفراط يزيد بدعة، أو تفريط يهمل أمرًا وإرشادًا.

وقد ترجم معاذ بن جبل ا هذا الإحساس بكلمة عدت مادة في دستور أجيال المؤمنين، فقال لصاحبه وهو يذكره: **(اجلس بنا نؤمن ساعة)**[1].

فأخذها ابن رواحة، فقال لأبي الدرداء، ب، وهو آخذ بيده: **(تعالى نؤمن ساعة، إن القلب أسرع تقلبا من القدر إذا استجمعت غليانا)**.

---

(١) صحيح البخاري ١/ ١٠.

فأخذناها عنهما، فكانت هذه المواعظ في فقه الدعوة، ندعو معها داعية الإسلام أن يجلس مع كل موعظة ساعة، يؤمن ويراجع نفسه، وعلمه، وهمته.

بقية.. وأمل

وهكذا وضعت هذه السلسلة لتخاطب دعاة الإسلام، من المصلين المعتزين بدينهم، المتحلين بأخلاق المؤمنين، دون الغافلين، فضلا عن المنحرفين.

ذلك أن العلم الإسلامي اليوم لا يحتاج لحل مشكلته إلى انتقال جمهور جديد من المنحرفين والغافلين إلى التمسك بالإسلام، بمقدار ما هو بحاجة سريعة إلى توعية المتمسكين به، وبعث هممهم، وتعريفهم طريق العمل وفقه الدعوة، ولا تزال هناك بقية باقية من المؤمنين كثير عددها، تكفي لقيام الخير الذي نبغي ونريد، إذا عرفت التجرد، وتقللت من الدنيا، وبعدت عن الفتن، وصبرت في المحن، وأجادت فن قيادة الأمة.

ولهذا، فإن هذه المواعظ سوف لا تورد كلاما فكريا في الموازنة بين الإسلام والمذاهب الاجتماعية، والاقتصادية الحديثة، ولا تحاور المخلطين الذين يجمعون مع الإسلام غيره، بل اقتصرت على مخاطبة مسلم، صادق الإيمان، نقي العقيدة، يتألم لواقع المسلمين الحاضر ويحزن، فتدله على طريق العمل المثمر وسبل الخلاص، وما يلزمه من الارتقاء بتربية نفسه إلى مستوى متطلبات هذا الطريق، أو تخاطب مواعظنا داعية عرف طريق العمل، وانخلع عن المحاولات الفردية، وآثر العمل الجماعي مع ميامين نفروا لمقارعة الجاهلية والرجوع بالأمة إلى إسلامها، لكنه بحاجة إلى تثبيت، وزيادة بذل، وترقيق قلب.

فمن غفل عن هذه المقاصد أخطأ التعرف على أهمية هذه السلسلة واضطرب في الاستفادة منها.

حاجة أهاجت القلب

ومن مارس التربية الحركية الإسلامية يدرك ندرة الكتب التي تفي بمثل هذه الحاجات من دون أن يكون بها بعض العيب، من حديث ضعيف، أو تفسير مرجوح، أو بلاغة متكلفة، أو استعانة بأقوال أهل البدع، أو استعمال لأسلوب معقد وتبويب يسرف في التقسيم يأباه الاسترسال الواجب في المخاطبات الإيمانية، أو حشر لسجع مملول متكرر، أو إيراد لكلمات وحشية غريبة واصطلاحات مخترعة مبهمة، وأمثال ذلك.

وإذا سلم كتاب من هذه العيوب، ولم يكن مطولا طولا منفرًا، أو مختصرا اختصارًا يجعله يسد القليل من الحاجة دون احتواء معظم المرحلة التربوية، أو مخلوطًا بمباحث خلافية وردود فلسفية كلامية لا يحتاجها الداعية، فإنه قد لا يخلو من نقص عام يقتصر معه مؤلفه على ذكر أخلاقيات المسلم الفرد، ويهمل ذكر مستلزمات الدعوة الجماعية والعمل الحركي.

ثم إن الكثير من الكتب الحديثة قد أغفلت إيراد أقوال الأئمة من السلف، ولم تحرص على بركة كامنة في نصوص الدعاة القدماء.

وبدأت بالاقتباس من القرآن الكريم.

ثم ولجت الصحيحين، للبخاري ومسلم، واقتصرت عليهما فلم أتعداهما إلا قليلا، وإلى حديث صحيح، وخلصت مواعظي بذلك من الحديث الضعيف والموضوع.

ونخلت كتاب الزهد لعبد الله بن المبارك، وكتاب الزهد لأحمد بن حنبل، وكتب أخرى في الرقائق والتعريف بطبقات الصالحين، متحريا أبلغ

الأقوال معنى ومبنى، معرضا عما صح معناه وورك لفظه، فضلا عن الذي جزل مبناه واشتبه مقصده، وحريصا على ما ينسب إلى الصحابة والتابعين والأئمة القدماء، مقلا عمن بعد القرن الفاضل الثالث، وإن كانوا نجباء، إلا الدعاة منهم، كابن تيمية، وابن القيم، وابن الجوزي.

أوهام وثقات

وأيضًا، فإني في هذا السياق، قد استفدت من أقوال جمهرة من الزهاد الثقات الذين يظنهم بعض المتشددين ضعافا مبتدعين بسبب أقوال ابتداعية نسبها لهم من بعدهم، هم منها أبرياء.

كمثل إبراهيم بن أدهم، والفضيل بن عياض، وبشر بن الحارث الحافي، والجنيد البغدادي، وعبد القادر الكيلاني .

إبراهيم بن أدهم على درب الاستقامة

فأما إبراهيم بن أدهم، فهو ثقة بإطلاق، وقد تُرجم كتاب (**تهذيب التهذيب**) لابن أدهم ترجمة جيدة كشفت عن إجماع النقاد من علماء الرجال على توثيقه.

ولعل من اللازم أن أذكر القارئ هنا بأن هذا الكتاب يعد المرجع الرئيس الأول في علم الرجال، فقد ألف الحافظ المقدسي كتابه،: (**الكمال في أسماء الرجال**) وأودع فيه جميع أقوال الأئمة في رجال الصحيحين والسنن الأربعة، معتمدًا على تواريخ البخاري وكتاب ابن أبي حاتم وكتب ابن معين وأصحابه، وأمثال ذلك، ثم جاء الحافظ المزي فاختصره وسماه (**تهذيب الكمال**)، وجاء الحافظ ابن حجر العسقلاني من بعد؛ فاختصره وزاد عليه أشياء فاتتهما، وهي كثيرة، وعقب عليهما، وسمى مختصره: (**تهذيب التهذيب**) ولا زالت المقارنة بين كتاب ابن حجر هذا، وبين

المصادر الأصلية التي اعتمد عليها هؤلاء الحفاظ الثلاثة، مما طبع ورأيناه، تبدي دقة بالغة في نقلهم النصوص منها.

وأثمن توثيق تبديه ترجمة ابن أدهم في تهذيب التهذيب [1] يكمن في قول الإمام يحيي بن معين فيه، فقد قال عنه إنه: **(عابد ثقة)**.

واصطلاح: (ثقة) عند ابن معين يدل على منزلة أعلى من مجرد الصدق، فالثقة عنده وعند معظم الأئمة هو: من كان صدوقا، ورعًا، بعيدًا عن البدعة الغليظة.

وناهيك بابن معين ناقدًا للرجال، فقد انعقد الإجماع على قبول رأيه، لما له من تشدد بالغ في توثيقهم.

ونتقدم قليلا، لنجد محمد بن عبد الله بن نمير الكوفي يقول في ابن أدهم أيضًا: إنه **(ثقة)**.

وما أدراك من ابن نمير هذا؟

هو **(دره العراق)** كما يقول الإمام أحمد بن حنبل، وتلمذ له البخاري وروى عنه في صحيحه، وسماه الحسن بن سفيان الفسوي: **(ريحانة العراق)**، وقال علي بن الجنيد: **(كان أحمد وابن معين يقولان في شيوخ الكوفيين ما يقول ابن نمير فيهم)**، فهو العمدة في التعريف برجال الكوفة، وقد عاش ابن أدهم دهرًا طويلا في الكوفة قبل أن ينزل الشام وبعد ذلك.

وكذلك الإمام النسائي صاحب السنن، فقد قال: إن ابن أدهم **(ثقة مأمون أحد الزهاد)**، والنسائي ثبْت حجة في الرجال، يميل مذهبه إلى التشدد في توثيقهم، كما هو معلوم عند أهل هذا الفن.

---

(١) تهذيب التهذيب ١/ ١٠٢.

وقال الإمام يعقوب بن سفيان: إبراهيم بن أدهم من الخيار الأفاضل، وهذا اللفظ يتجاوز مجرد الاعتراف له بأهلية رواية الحديث إلى الإقرار بالخيرية والفضل.

وقال الإمام الدارقطني صاحب السنن، إذا روى عنه ثقة فهو صحيح الحديث.

وقال العجلي: ابن أدهم ثقة، والعجلي ناقد بصير متخصص في النقد، ولكتابه في الثقات منزلة عند المحدثين.

وقال ابن حبان في كتاب (الثقات): كان ابن أدهم صابرًا على الجهد، والفقه، والورع الدائم، والسخاء الوافر إلى أن مات في بلاد الروم سنة ١٦١هـ.

ولعل أحدًا يتململ هنا ويقول: ابن حبان متساهل في التوثيق، وينسى أن التساهل المنسوب إلى ابن حبان مخصوص في الذين لم يجد أحدًا يوثقهم أو يجرحهم، فيرجح جانب الستر فيهم ويصنفهم في الثقات من دون إطراء، ولكنه هنا يطري على رجل معروف مشهور.

وقال أبو الأحوص: رأيت من بكر بن وائل خمسة ما رأيت مثلهم، فذكر ابن أدهم فيهم.

ومن لا خبرة له بعلم الرجال يمر على مثل هذه الأقوال مرورًا عابرًا، لجهله بمنازل أصحابها، ولا يدري –مثلا– أن أبا الأحوص هذا هو شيخ جمهرة من شيوخ البخاري، وحديثهم عنه متوافر في الصحيح، وكان كوفيا معاصرًا لإبراهيم بن أدهم، وذكروا عنه أنه كان (**ثقة صاحب سنة واتباع**)[1]، أي أنه

(١) تهذيب التهذيب ٤/ ٢٨٣.

كان صحيح العقيدة، حاثا على اتباع السنن، داعيًا إليها، ولم يكن يروي الحديث فقط، ومن كان في مثل هذه الحال، كيف يسوغ له توثيق مبتدع؟

وقال الإمام أحمد بن حنبل في كتاب الزهد: سمعت سفيان بن عيينة يقول: رحم الله أبا إسحاق –يعني إبراهيم بن أدهم– قد يكون الرجل عالمًا بالله ليس يفقه أمر الله.

ومرة أخرى يتعرض قليل الخبرة هنا للوهم حين يظن أن هذه الكلمة تحمل شبه تضعيف، لما في ظاهرها من إشعار بذلك، ولكنها أقرب الكلمات إلى توثيق عقيدة ابن أدهم، فابن عيينة يقر هنا بأن ابن أدهم من العلماء بالله، أي بتوحيده وصفاته، لكنه ليس بفقيه في الأحكام والأمر والنهي وفروع المعاملات.

وهذا القول على الأخص، ينفي الجانب الذي يرتكز عليه من يتهم ابن أدهم؛ إذ إن ابن عيينة وإن أقام بمكة وصار إمامها، إلا أنه كوفي الأصل، وله مع ابن أدهم مجالس.

هذه هي التوثيقات التي أوردها ابن حجر خلال ترجمة إبراهيم في تهذيب التهذيب ، ويمكننا أن نضيف لها توثيقات أخرى تؤخذ بالقرينة من نفس الترجمة، فقد ذكر أن إمام الكوفة سفيان الثوري، المعاصر لابن أدهم، قد روى عنه الحديث، وكذلك الأوزاعي إمام الشام، وروايتهما وإن لم تكن دلالة توثيق كاملة، إلا أنها تلقي في القلب نوع اطمئنان.

ومن القرائن الأخرى أيضًا: أن الترمذي روى له في باب الطهارة من سننه حديثا معلقا، وما هي بدلالة توثيق كاملة، نقولها مرة أخرى، لكنا نعرف أنهم كانوا يتجنبون أصحاب البدع العظيمة والعقيدة الفاسدة.

ولهذا نجد ابن تيمية قد سبقنا، فشهد لابن أدهم، وقال: (أما المستقيمون من السالكين، كجمهور مشايخ السلف، مثل الفضيل ابن عياض، وإبراهيم بن أدهم...) [1].

وهذه تزكية طاهرة لعقيدة إبراهيم.. تتجاوز مجرد الإقرار له بالصدق.

ويهم بعضهم حين يفهمون أن توثيقات النقاد الذين ذكرناهم، لابن أدهم، تقتصر على توثيق روايته للحديث دون تزكية عقيدته، وأن أصحاب الحديث قد يروون لمبتدع صادق.

فهذا القياس لا يرد؛ إذ إن الصادقين أصحاب البدع، الذين أوردت المدونات الحديثة لهم شيئا من رواياتهم، كانت بدعتهم معروفة مشهورة في جيلهم، فذكرها النقاد، ونصوا على تلبسهم بها، ومع ذلك أجازوا الرواية عنهم، وجعلوا حديثهم حجة أو صالحًا للاستشهاد به، بمقدار بدعتهم، أما الذين أطلقوا فيهم القول بالتوثيق، فيشمل قولهم توثيق عقيدتهم، وأجزم بذلك وإن لم يكن بين يدي قول ناقد يقرر ذلك قاعدة، ولكنه الاستقراء الذي جعل ما أقول واضحًا لدى كل متداولي علم رجال الحديث، فإن جمع أقوال علماء الجرح والتعديل، على نحو ما أودع في كتاب تهذيب التهذيب، لم يترك أحدًا من المبتدعة إلا وذكرت بدعته في ثنايا ترجمته، إن أغفل ذكرها ناقد ذكرها آخر ولابد، ولم يفلت أحد من تدقيقهم.

فتضعيف إبراهيم بن أدهم إذن، يصطدم بعقبة توثيق القدماء له، خصوصا وإن فيهم ابن عيينة الذي صرح بأن ابن أدهم من العلماء بالله، ناهيك عن شهادة ابن تيمية له بالاستقامة، وهو الخبير بجزئيات المواقف العقائدية لأجيال المسلمين التي سبقته، خبرة لا نستطيع التقليل من شأنها.

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٠/ ٥١٦.

فضيل سيد المسلمين

وأما الفضيل بن عياض فعالي المكانة، وخصه كتاب التهذيب بترجمة رائعة [1].

وأول من يوثقه: صاحبه أمير المحدثين عبد الله بن المبارك، إذ قال: (**وأما أورع الناس: ففضيل**).

وقال: (**ما بقي على ظهر الأرض عندي أفضل من فضيل**).

وقال: (**إذا نظرت إلى فضيل: جدد لي الحزن، ومقت نفسي**).

وظاهر أن توثيقه هذا لا يشمل الرواية فقط، بل هو يقر بالأفضلية العامة، ولا يكون أفضل الناس من هو مبتدع، وقد روى ابن المبارك عن الفضيل تأكيدًا لقوله فيه.

ووثقه أيضًا إمام العراق عبد الرحمن بن مهدي، فقال:

(**فضيل بن عياض رجل صالح ولم يكن بحافظ**).

وروى عنه، وهو لا يروي إلا عن ثقة.

وكذلك سفيان بن عيينة إمام مكة، قال: (**فضيل ثقة**) وروى عنه.

وقال شريك القاضي نموذج العدل: (**لم يزل لكل قوم حجة في زمانهم، وإن فضيل بن عياض حجة لأهل زمانه**).

وقال أبو حاتم: (**صدوق**).

وقال الدارقطني إمام بغداد: (**ثقة**).

وأما النسائي فقال: (**ثقة مأمون رجل صالح**).

---

(١) تهذيب التهذيب ٨/ ٢٩٤.

ورأى شيخ البخاري الحسين بن حريث حديث الفضيل حجة، وروى عنه.

وعده القواريري شيخ البخاري ثاني أفضل المشايخ الذين رآهم، وروى عنه.

ووصفه عثمان بن أبي شيبة الكوفي، شيخ البخاري ومسلم بأنه: (**كان ثقة صدوقا، وليس بحجة**)، أي يطلب لحديثه متابعًا.

وقال العجلي: (**كوفي ثقة، متعبد، رجل صالح**).

وقال ابن سعد صاحب الطبقات: (**كان ثقة نبيلا فاضلا عابدًا ورعًا كثير الحديث**).

وذكره ابن حبان في الثقات، ووصفه بالورع الدائم، والخوف الوافر، والبكاء الكثير.

ومن القرائن الدالة على حسن حاله: رواية رهط آخر من الثقات عنه، فقد روى عنه الإمام الشافعي، ويحيى بن سعيد القطان إمام البصرة، وشيخا البخاري ومسلم: يحيى بن يحيى التميمي، وعبد الله بن مسلمة القعنبي، وهما من أصحاب مالك الكبار، وشيخ البخاري: أحمد بن عبدالله ابن يونس، أحد رءوس العلم في الكوفة، ومسدد بن مسرهد الذي قال فيه البخاري خلال صحيحه: هو مسدد كاسمه، وعبد الله بن الزبير الحميدي، ثالث المزني والبويطي في صحبة الشافعي، وإمام خراسان: قتيبة بن سعيد، وهما من شيوخ البخاري ومسلم.

وحديث الفضيل نفسه تجده في الصحيحين.

ولم يضعفه إلا قطبة بن العلاء، إذ اتهمه بأنه روى أحاديث فيها إزراء على عثمان [1]، فقال ابن حجر: (**لم يلتفت أحد إلى قطبة في هذا**)، وأورد عن الفضيل ما يدل على توقيره لعثمان، عكس ما ادعاه قطبة.

وأما ابن تيمية فقد أكثر من مدحه، فسماه في موضع: (**سيد المسملين في وقته**) [1].

وعده من "**المؤمنين**"، وسلف الأمة، وأكابر المشايخ [2].

وأسلفنا أنه عده في المستقيمين من السالكين.

وعده في الفتوى الحموية من الأئمة، وذكر عنه عقيدة صحيحة.

معلم الزهد

وأما بشر بن الحارث الحافي فقد قلده أبو حاتم وسامه، مع تشدده البالغ، فقال (**ثقة، مرضي**) [3].

وقيل لأحمد بن حنبل: مات بشر، فقال: (**مات / وما له نظير في هذه الأمة إلا عامر بن عبد قيس**)، وعامر هذا تابعي ناسك من أقران أويس.

وقال الإمام إبراهيم الحربي: (**ما أخرجَت بغداد أتم عقلا ولا أحفظ للسانه من بشر**).

وقال ابن حبان في الثقات: (**أخباره وشمائله في التقشف، وخفي الزهد، والورع، أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفها**).

وقال الدارقطني: ثقة، زاهد.

وقال الخطيب البغدادي، (**كان ممن فاق أهل عصره في الورع والزهد، وتفرد بوفور العقل، وأنواع الفضل، وحسن الطريقة، واستقامة المذهب، وعزوف النفس**).

---

(١) سماع الصوفية، وهي مطبوعة ضمن مجموعة رسائل بعنوان: الجامع الفريد ص٦٧٧.

(٢) الوصية الكبرى، ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ١/ ٣١٩.

(٣) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: ج١، ق١، ص٣٥٦.

وقال مسلمة بن قاسم الأندلسي: (ثقة فاضل).

كل ذلك في ترجمته في تهذيب التهذيب [١].

وأخباره في الانتصار للإمام أحمد خلال محنة خلق القرآن مبسوطة في كتاب ابن الجوزي حول مناقب أحمد، ولا أعلم أحدًا ضعفه.

وأما تركه التكسب، واعتماده على ربح أخته من بيعها الصوف المغزول، فليس بعيب، إذ كانوا يرون أنفسهم معلمين للأمة يجب تفرغهم، وكان شعبة بن الحجاج، رأس أهل جيله من المحدثين، متفرغًا للحديث، يعيش على مال أخيه الكادح، ولم يعبه أحد بذلك.

الجنيد من أئمة الهدى

أما الجنيد فلنا فيه توثيق ابن تيمية.

قال: (كان الجنيد ا سيد الطائفة إمام هدى).

وكررها بعد، فقال: (والجنيد وأمثاله: أئمة هدى) [٢].

وقال: (كان الجنيد ا سيد الطائفة، ومن أحسنهم تعليمًا وتأديبًا وتقويمًا) [٣].

ولما بين الفرق بين الإرادة الكونية القدرية، والإرادة الدينية، قال: (وكانت هذه المسألة قد اشتبهت على طائفة من الصوفية، فبينها الجنيد / لهم، من اتبع الجنيد فيها كان على السداد، ومن خالفه ضل) [٤].

---

(١) تهذيب التهذيب ١/ ٤٤٤.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/ ٤٩١.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٠/ ٦٨٦.

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ١١/ ٢٤٥.

وعده في أخرى ضمن المشايخ الموثوق بهم [١].

ووصفه أيضًا بأنه شيخ عارف مستقيم [٢].

وأثنى ابن القيم عليه كذلك، في مواضع من المدارج [٣].

الكيلاني القدوة

وذكر ابن تيمية الشيخ عبد القادر، فوصفه بأنه:

(من أعظم مشايخ زمانهم أمرًا بالتزام الشرع والأمر والنهي وتقديمه على الذوق والقدر، ومن أعظم المشايخ أمرًا بترك الهوى والإرادة النفسية) [٤].

وعده في ثنايا كلام آخر من **(أئمة الدين)** [٥].

ثم جعله في جملة **(المشايخ أهل الاستقامة)** [٦].

وسماه ابن القيم: **(الشيخ العارف القدوة)** [٧].

غنيمة الزهاد لنا فيها سهم..!

فها قد بان لك أن سلسلتنا هذه لا تعتمد إلا على ثقة نال تزكية أئمة نقاد الرجال.

والحقيقة أن المسلم يستطيع أن يوسع دائرة اعتماده، ويستفيد من بعض أقوال الآخرين من الزهاد غير هؤلاء، ابتعدوا عن كفر وحدة الوجود وما

---

(١) رسالة سماع الصوفية/ ٦٧٢.

(٢) الرد على المنطقيين/ ٥١٥.

(٣) مدارج السالكين ٢/ ٢٧٦، ٥١١/ ٣/ ١٢١.

(٤) (٥) (٦) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٠/ ٤٨٨، ٥٠٧، ٥١٦ وراجع أيضًا ٨/ ٣١٩.

(٧) مدارج السالكين ١/ ١٩٧.

يقاربه من البدع الغليظة، لكنهم لم يستطيعوا الخلاص من بدع دون ذلك أدت بهم إلى بعض الشطحات والمجازفات، فإن هذا الاعتماد الموسع لأقوال مثل هؤلاء المخلطين قد أجازه ابن القيم، واعتبره منهج أهل العدل والإنصاف، وقرر أن:

(هذه الشطحات أوجبت فتنة على طائفتين من الناس:

إحداهما: حجبت بها عن محاسن هذه الطائفة، ولطف نفوسهم، وصدق معاملتهم، فأهدروها لأجل هذه الشطحات، وأنكروها غاية الإنكار، وأساءوا الظن بهم مطلقا، وهذا عدوان وإسراف، فلو كان كل من أخطأ أو غلط ترك جملة، وأهدرت محاسنه، لفسدت العلوم والصناعات، والحكم، وتعطلت معالمها.

والطائفة الثانية: حجبوا بما رأوه من محاسن القوم، وصفاء قلوبهم ونقصانها، فسحبوا عليها ذيل المحاسن، واجروا عليها حكم القبول والانتصار لها، واستظهروا بها في سلوكهم.

وهؤلاء أيضًا معتدون مفرطون.

والطائفة الثالثة: وهم أهل العدل والإنصاف، الذين أعطوا كل ذي حق حقه، وأنزلوا كل ذي منزلة منزلته، فلم يحكموا للصحيح بحكم السقيم المعلول، ولا للمعلول السقيم بحكم الصحيح، بل قبلوا ما يقبل، وردوا ما يرد) [1].

ثم قال مؤكدًا منهجه الوسط هذا:

إن **(البصير الصادق يضرب في كل غنيمة بسهم، ويعاشر كل طائفة على أحسن ما معها)** [2].

---

(١) (٢) مدارج السالكين ٢/ ٣٩/ ٣٧٠.

وقد كان (**مدارج السالكين**) لابن القيم، ذلك الكتاب الرائع، أوضح ثمرة لمنهجه هذا.

ومع ذلك، فإننا آثرنا التشدد، وعزفنا عن سعة منهج ابن القيم، وحصرنا أنفسنا في دائرة الثقات فقط، حبا في ألا نترك لناقد مجالا، فلم نقرب الضعفاء من أصحاب الشطح، ولا ذكرنا كتابا فيه مدحهم وذكر أقوالهم إذا اضطررنا لنقل أقوال الثقات منه، احتياطا، وحذرًا أن يعتقد الداعية الناشيء الصلاح المطلق لهذه الكتب المشوبة، أو يظن أننا نزكيها ونجيز له مطالعتها.

إحياء يقتبس من إحياء

إلا (**إحياء علوم الدين**) للغزالي، إن أصر المتشدد على اعتبار أخطائه شطحا، فإن السهم في غنيمته مؤكد لكل من يطلبه، وما زاد ابن تيمية خلال (**الرد على المنطقيين**)، و(**مجموع الفتاوى**) على أن ناقش بعض تأثراته بالأشاعرة، ووجدنا من السهل علينا وعلى الناشيء تجنب ما في الإحياء من أحاديث ضعيفة، أو دعوة إلى مبالغة في الزهد يذهب فيها إلى أبعد من مجرد التقلل، وآثرنا أن نسلك مسلك أبي الحسن الندوي، حين رأى أنه:

(على ما تعقب على الغزالي في الإحياء من إيراد أحاديث ضعيفة، بل موضوعة في كثير من الأحيان، وأشياء من كلام الصوفية الممعنة في الغلو وهضم النفس وترك المباحات، وقد لا تتفق مع أصول الدين، ومع ما ورد فيه من مواد كلام الفلاسفة، إلى غير ذلك من مآخذ تعقبها العلامة الحافظ ابن الجوزي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، مع اعترافهما بفضل الكتاب، فإن كتاب الإحياء في مقدمة الكتب الإسلامية التي انتفع بها خلائق لا تحصى في كل عصر وجيل، وأثرت في النفوس تأثيرًا لا يعرف إلا عن كتب معدودة،

ولا يزال الكتاب الذي يكثر قراؤه والمعجبون به والمتأثرون به في أكثر البلاد، ولا يزال زاخرة في الدين، ومصدرًا قويًّا من مصادر الإصلاح والتربية)[1].

ولا نجادل في أن الداعية الناشئ، مكلف بأن يكون له كثير نظر في القرآن، والصحيحين وشروحها، قبل أن يبيح لنفسه النظر في الإحياء وكتب الزهد والرقائق، وأن يقدم بين يدي مطالعته لها مطالعة (**مدارج السالكين**) لابن القيم أو تهذيبه (**تلبيس إبليس**) لابن الجوزي، وطائفة من كتب ابن تيمية، ليتجنب العمل بما يرى في كتب الزهد من أحاديث ضعيفة، واصطلاحات تحمل أكثر من وجه، ورياضات ذكروها لم يأمر بها النبي ﷺ أصحابه.

وأما كتب من اعتقد وحدة الوجود، ولهج بها، وجعلها ديدنه، واقتفى أثر الحلاج والبسطامي، وابن الفارض، فالواجب اطراحها، ولابد أن يكون داعية الإسلام في عافية مما فيها، وقد طهرت هذا الكتاب من ذكرهم وذكر أقوالهم تطهيرًا.

قدوات

ثم إني تتبعت بعد كتب الزهد: سير الدعاة من الفقهاء والمحدثين والأمراء، في تاريخ الطبري، وتهذيب التهذيب وطبقات ابن سعد، وطبقات الشافعية، وطبقات الحنابلة، وتاريخ بغداد، وأمثالها، واستللت منها فوائد كثيرة، أضفتها إلى ما اقتبسته من الحديث وأقوال الزهاد، فكان ما شاء الله من النص القديم المبارك الجامع لفقه أطباء القلوب من الصحابة

(١) رجال الفكر والدعوة/ ٤٦.

والتابعين وتابعيهم، الذين هم خير الناس، فإن أمة محمد ﷺ خير أمة أخرجت للناس، وأولئك خير أمة محمد.

سادة وفتوح

وعرجت بعد ذلك على إنتاج العصر الحديث، ولباب أقوال قادة الحركات الإسلامية المعاصرة، فبدأت بأبرك وأصفى وأصدق كلام فيه، كلام الإمام البنا /.

ومررت بما كتبه سيد، والأستاذ المودودي، وأعلام من الدعاة إلى الله، وآخرون من الثقات الذين ما كانت مشاعرهم بعيدة عن الدعوة والدعاة، كمصطفى صادق الرافعي، وعبد الوهاب عزام، وغيرهم.

وكان بعض إكثار في اقتباسي عن سيد، فإنه -كما وصفه الأستاذ الندوي-: (**من فتوح الإسلام الجديدة**) [1].

ومن عرف رسائل الإمام البنا، وميز عبارات المودودي في (**الجهاد**) و(**منهاج الانقلاب الإسلامي**) و(**نظرية الإسلام السياسية**): بدا له بوضوح أثرهما العميق في كلام سيد في: التجمع الحركي، والقاعدة الصلبة، والمفاصلة، وتكشفت له أصول الكثير من لفتاته وعباراته.

ويبدو لي، أن سيد قد قصد من ظلاله المنقح [*]، أول ما قصد: شرح ورسم خطوط هذه القواعد الحركية في التجمع، ومفاصلة الجاهلية وتربية الصفوة المؤمنة المختارة، مقدمًا لدعاة الإسلام مادة الوعي الحقيقي الصائب.

---

(١) مذكرات سائح في العالم العربي، ٩٠.

(*) نقح السيد وأعاد كتابة الأجزاء الأولى حتى الرابع عشر، وأعدم قبل إتمام التنقيح.

وستقوم هذه المواعظ بانتقاء أهم ما تناوله قلم سيد في الفقه الحركي في مختلف المناسبات التي أتاحتها الآيات، مع شرح فقه الظلال بما يماثله مما في كتبه الأخرى، وبما يكمله مما في رسائل المودودي، وبما يكشف عن أصوله عند الصحابة والتابعين وفقهاء الصدر الأول.

وإنما اقتصرت في النقل عن هؤلاء الأفاضل جميعا على ما يحتاجه الدعاة لإتقان عملهم، وما يلزمهم من أخلاق المؤمنين لقطع الطريق، من صبر، وشجاعة، وأخوة، وخوف من الله، ورجاء لرحمته وزهده، وقصر أمل، وطاعة قادة، ثم ما يجب أن يداووه من أمراض القلوب، من غرور، وكبر، وهوى نفس، ونكث بيعة، إضافة إلى بيانهم وجوب العمل الجماعي، وفنونه، وأصول تربية الآخرين.

وهكذا ظفرنا بكل معنى حسن أشار إليه يحيي بن معاذ الزاهد لما قال: **(أحسن شيء: كلام رقيق، يستخرج من بحر عميق، على لسان رجل رفيق)** [1].

وأحسبه يعني مثل هذا الكلام الرقيق، الذي استخرجته لك -أيها الداعية- من بطون هذه الكتب العميقة، وغيري إنما خلط ما استخرجه من الساحل بما ظفر به من الأعماق، وأبيت أنا إلا أن استخرج لك من الأعماق فحسب، ولم أرض إلا كل نادر بليغ، وستعلم كم من الرفق كانت تحمله قلوب هؤلاء الرجال الذين أهدوا لك ثمرات تجاربهم ونتائج تأملاتهم، فخلدت كلماتهم وسرت في الناس، معلنة عما لها من الاتصال بسند الحق.

(ولن تخلد الكلمة على الأجيال إلا إن اتصلت بالحق والخير، وكان لها من قوانين الله في خلقه سند، ومن إلهامه لعباده مدد.

---

(١) تاريخ بغداد ١٤/ ٢٠٩.

ورب بارقة يرمي بها سلطان مسلط، أو صنم مشهور، فتدوي حينا، وتأتلق زمانًا، ثم تصمت وتنطفئ، وتكون كالشهاب يحور رمادًا بعد التهاب، بما كان دويها من صوت الباطل لا الحق، وائتلاف من زخرف الكذب لا الصدق.

ولا ينطق بكلمة الحق الخالدة إلا عقل مدرك، وقلب سليم، إلا قائل يعتد بنفسه ويثق برأيه، فيرسل الكلام أمثالا سائرة، وبينات في الحياة باقية، لا يصف وقتا محدودًا، ولا أمرًا موقوتًا، ولا إنسانًا فردًا، ولا حدثا واحدًا، ولكنه يعم الأجيال والأعصار، والبلدان والأقطار.

وعلى قدر عظم القائل: تجد هذا العموم في قوله، ينبغي أن يجعل كلماته للناس منهاجًا، وفي ظلمات الحياة سراجًا وهاجًا) [1].

رب شعر يرتاع منه الكلام

ثم إني وجدت بعض الكتب الإسلامية الحركية التربوية قد فصلت بلا مسوغ بين النثر والشعر، وحرمت المربين من استعمال مئات الأبيات والقطع من شعر الرقائق، أو شعر الحماسة، أو شعر العقيدة والفكرة، مما قاله ثقات الشعراء القدامى والمحدثين، وشعراء هذه الدعوة المباركة. والمرء ربما **(يسمع المعنى نثرًا، فلا يهز له عطفا، ولا يهيج له طربا، فإذا حول نظمًا، فرح الحزين، وحرك الرزين.. وقرب من الأمل البعيد)** [2].

و**(إن من الشعر حكمة)** كما يقول النبي ﷺ.

---

(١) الشوارد لعزام/ ٣٤٠.

(٢) خريدة القصر/ القسم العراقي ١/ ٢٠٢.

(وإنما الوزن من الكلام كزيادة اللحن على الصوت: يراد منه إضافة صناعة من طرب النفس إلى صناعة من طرب الفكر) [1].

لهذا ملنا إلى إيراد الأشعار، والاستعانة بها في هذه المواعظ، قاصدين أن نضيف إلى المعاني التي يستحسنها فكر الداعية نوعًا من استحسان نفسه لها، ليرسخ المعنى، ويطول تأمله وتذكره.

وليس أدل على أهمية الشعر في نصر العقائد وترويجها ما كان له من دور في إسعاف أهل البدع وترويجها لدى العوام، مضادة لمساعي ابن تيمية وتلامذته عندما انبروا لتفنيدها ودمغها بحجج السنة الغراء.

(ولا ريب أن منطق ابن تيمية القوى أثر أثره، ولكن جفاف المنطق لا يقوى على مقاومة نضرة الشعر وفتنته). كما يقول شاعر الإسلام محمد إقبال[2].

وهو كما قال، فإن الذي قلل من سريان كلام ابن تيمية في أوساط العامة هو ما كان عليه أئمة الضلالة الداعين إلى البدع من روعة البيان، ورقة الشعر، وتمكنهم فيه، حتى سحروا قلوب الناس بشعرهم من حيث لا يشعرون، ولم يتهيأ لابن تيمية شاعر مبدع يسانده.

إن للشعر هذه القابلية في إسعاف من يستعمله وتزيين الخطأ أو الصواب، ونصرة الحق أو الباطل، على حد سواء في كل شئون الفكر وحقائق الحياة، إذ النفس الإنسانية تحب الجمال، والشعر جمال كله، وبإمكانه أن يزيد الحق والصواب نضرة وزهاء ورونقا ووضوحًا، أو أن

---

(١) وحي القلم للرافعي ٣/ ٢٨٥.

(٢) كتاب محمد إقبال لعبد الوهاب عزام/ ٥٢.

يخفي ما يشين صفحة الباطل والخطأ والوهم من خروق ونتوء واعوجاج، فينطلي عيبه بالتزويق، ولا يتخلص من أسر الشعر وتأثيره إلا قلب عامر بالإيمان عمرانًا كافيًا.

إن هذه الظاهرة الشعرية هي التي دفعتني إلى الاستعانة بالشعر في هذه المواعظ، ولئن كان يقلل من تذوق بعض الدعاة لهذا الشعر العربي الرصين الواضح الذي اخترته، ما أصابهم من هذا الذي أصاب عموم الجيل العربي الجديد من ضعف الحاسة الأدبية، فإني أرجو أن يكون عملي هذا محاولة للارتفاع بهذا الذوق لدى الدعاة، ولئن كان باعي في الشعر قصيرًا، فإن في إنتاج الثقات غنى وبركة، ولئن كان أكثره منشورًا من قبل، فإن في هذا الانتقاء تقوية وحفظًا وترويجًا وبعثًا جديدًا له.

سلف وأتباع

ولنا اقتداء في استعمال شعر الرقائق بالإمام أحمد، فقد كان يحفظ شيئا منه أملاه على ثعلب، الأديب المشهور، وسمعه أصحابه ينشد الشعر، ووقف الشعراء بين يديه أيام محنته يمدحونه، بل تنسب إليه قطعة نظمها في عتاب علي بن المديني حين لم يصبر معه على العذاب [1].

وقال له أحد أصحابه :

(يا أبا عبد الله: هذه القصائد الرقاق التي في ذكر الجنة والنار، أي شي تقول فيها؟

فقال: مثل أي شيء؟

---

(١) مناقب أحمد لابن الجوزي/ ٢٠٥.

قال يقولون :

إذا مـــــا قـــــال لي ربـــــي أمـــا اســـتحييت تعصـــيني؟

وتخفـــى الـــذنب مـــن خلقـــي وبالعصيـــــــان تأتينـــــــي؟

فقال: أعد علي.

قال: فأعدت عليه، فقام ودخل بيته، ورد الباب، فسمعت نحيبه من داخل البيت، وهو يقول:

إذا مـــــا قـــــال لي ربـــــي أمـا اسـتحييت تعصـيني..) [1].

وأما استعارة بعض الأبيات التي قيلت في مدح أناس ثقات من الخلفاء والقادة الكرماء لوصف دعاة الإسلام بها، فذلك مما لا يأباه العرف المأثور عن السلف، ونقتدي بفعل عمر بن الخطاب ا حين سمع أبيات زهير ابن أبي سلمى في هرم بن سنان المري:

دع ذا وعـــد القـــول في هـــرم خـير الكهـول وسـيد الحضـر

في أبيات أخرى.

فقال عمر: ذلك رسول الله ﷺ [2].

وبهذه القناعة في جدوى الشعر وجوازه: اقتبست الكثير من دواوين القدماء، ثم من دواوين وليد الأعظمي، ومحمود آل جعفر، والأميري، وعبد الوهاب عزام، وغيرهم.

وكذلك أضفت شيئا من شعر إقبال، شاعر الإسلام الفحل مما في دواوينه: (**رسالة المشرق**) و(**الأسرار والرموز**)، (**وضرب الكليم**)، فدخل شعره لأول مرة في المواعظ العربية من بعد ما ترجمه عبد الوهاب عزام.

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي/ ٢١٨.

(٢) الأغاني ١٠/ ٣٠٤.

وإقبال شاعر صحيح العقيدة، عميق الرؤية، سليم التفكير، وقد وثقه أبو الحسن الندوي وخصص له دراسة سماها: (**روائع إقبال**)، كما وثقه المودودي في مقال مهم نشرته مجلة البعث الإسلامي الهندية [1] ، بين فيه فضل إقبال في توجيه الجيل الذي أسرته الحضارة الغربية، وإبعاده عن ضيق القوميات، وتأكيد صورة الدولة الإسلامية لديه، حتى إن الأستاذ المودودي وصف عمل إقبال بأنه عمل عظيم في مجال الإصلاح، له قيمة لا ينساها التاريخ الإسلامي، وأنه استطاع إنقاذ الجيل المسلم الذي كانت تتلقفه فتن جديدة، ونظريات مختلفة.

وفوق هذا، فقد كان لإقبال في أواخر حياته عمل مهم ضخم جدًا، في ميزان الإسلام، وهو تخصيصه قلمه لفضح القاديانية والأحمدية ، والتحذير منهما، ووجدته شديد الإنكار على زيغ وحدة الوجود، خلاف ما يفهم البعض عنه.

إن صفاء فكر إقبال حدا بسيد إلى أن يقول:

(قد رأيت بين أفكار محمد إقبال وبين وجهة نظري توافقا غريبا، قد تخطى المعاني إلى الكلمات، خصوصًا فيما يخص الوجدان والروح. وإني لشديد الشوق إلى دراسة إقبال ونصوصه) [2].

استرسال مع فطرة الجمال

والمجاز والجناس والتشبيه مثل الشعر، وصاحب الذوق يدرك أن حديث الحماسة يكون أبعد تأثيرًا، إذا ازدان بهذه الفنون البلاغية، ولذلك اقتبست منها ما يخلو من التكلف.

---

(١) مجلة البعث، مجلد ١٦ عدد ٤ الصادر في شوال ١٣٩١هـ.

(٢) مذكرات سائح/ ١٤٩.

(وما المجازات والاستعارات والكنايات، ونحوها من أساليب البلاغة، إلا أسلوب طبيعي لا مذهب عنه للنفس الفنية، إذ هي بطبيعتها تريد دائمًا ما هو أعظم، وما هو أجمل، وما هو أدق. وربما ظهر ذلك لغير هذه النفس تكلفا وتعسفا ووضعا للأشياء في غير مواضعها، ويخرج من هذا أنه عمل فارغ وإساءة في التأدية، وتمحل لا عبرة به، ولكن فنية النفس الشاعرة تأبى إلا زيادة معانيها، فتصنع ألفاظها صناعة توليها من القوة ما ينفذ إلى النفس ويضاعف إحساسها، فمن ثم لا تكون الزيادة في صور الكلام وتقليب ألفاظه وترداد معانيه إلا تهيئة الزيادة في شعور النفس) [1]، فمن الناس (من يعجبه حسن اللفظ، ومنهم من يعجبه الإشارة، ومنهم من ينقاد ببيت من الشعر، وأحوج الناس إلى البلاغة: الواعظ، ليجمع مطالبهم، لكنه ينبغي أن ينظر في اللازم الواجب وأن يعطيهم من المباح في اللفظ قدر الملح في الطعام، ثم يجتذبهم إلى العزائم، ويعرفهم طريق الحق) [2].

قادة أنا لهم تابع

ومن عجب أن يجعل البعض اعتماد المؤلفين على النقل من كتب معاصريهم عيبا يعيب به أسلوبهم، ويقلل به من قيمة مؤلفاتهم، ويفرح بمن لا ينقل، ولو كان يصوغ أفكار غيره بألفاظه الخاصة، وهذا إنما مرده: البطر العلمي، فإن الكاتب لابد له من الاستفادة من مجهود غيره، فيستعير منه الالتفاتة الجميلة، والمصطلح الناجح، والتعبير البليغ، وقد اقتبس السيد في الظلال نصف رسالة الجهاد للمودودي في مكان واحد.

وفي هذه السلسلة كان لابد مع هذه الاستعارة العرفية من أن أتواضع أمام فحول الفقهاء، وقادة الدعوة، وأن أترك لهم التعبير عن أصول العمل

---

(١) وحي القلم/ ٣/ ٢١٣.

(٢) صيد الخاطر لابن الجوزي/ ١٠٠ طبعة محمد الغزالي.

الإسلامي، مقتصرا على جمع ما تفرق من أقوالهم، محييا له بالتنسيق، مضيفا شيئا من الفوائد من خلال التعقيب عليه، فأدع الداعية أمام كلام من اتفقت كلمة الدعاة على توثيقه، والقلوب على حبه، بدل وضعه أمام كلام مجهول مثلي، وما أنا بالذي يقرب شأوهم، ويداني فضلهم، وإنما سوغت لنفسي الاستعجال في المشاركة في تبيين فقه الدعوة، وأقحمت قلمي إقحامًا في مجالاته سدًا لذريعة حرمان الدعاة من معان ألمس لزوم الإسراع في تذكيرهم بها، أنسى بعضهم إياها ما هم فيه من خلاف أو حرص دنيوي، غير المعاني الأخرى التي أوردتها لهم، مما يحتاجون لها في تفهيم الجدد، وتربية الشباب.

وذلك الذي عنيته إذ وصفت عملي بأنه (إحياء) لفقه الدعوة، فهو إحياء لكلام المعاصرين بالتنسيق والموازنة، كما أنه إحياء لكلام أولئك القدماء بالبعث من بعد نسيان، في محاولة اجتهادية تكميلية من خلال الجمع بين الكلامين، نسأل الله تعالى السلامة والصواب فيها.

فلأن شطرًا كبيرًا من هذه الاستلالات يمثل أسطرًا خفية أرجعناها بطول التفتيش والتنقيب في كتب التراث إلى ميدان التداول والمدارسة، أو يمثل أسطرًا مهمة من بين بحوث طويلة للمعاصرين: كان عملنا كالإحياء.

فعنوان (إحياء فقه الدعوة) وإن أشعر بتقليد الغزالي في إحيائه لعلوم الدين، إلا أن له من حقيقة دلالة لفظه نصيبا كبيرًا.

خلاصة متكاملة

وهكذا اكتملت هذه المواعظ في الدعوة، وصفات الداعية، والمدونة اللطيفة في أعمال القلوب وترقيقها.

وأظنها أول مواعظ شاملة تنخل القديم وتغربله، وتستفيد من الجديد، وتمزج النثر بالشعر، مجردة فقه العمل الحركي وأدب الرقائق والحماسة دون

فروع المعاملات، مسترسلة في الخطاب على الأسلوب الحديث غير مكتفية بإيراد الأقوال المستحسنة في تعداد جامد استسهلته كتب المواعظ القديمة، مع هجر كل كلمة يحتاج القارئ إلى قاموس لغوي لفهمها، والنقاء من الحديث الضعيف، والإسرائيليات، والأساطير، وقصص الكرامات المبالغ فيها، والبعد جهد الإمكان عن تكرار اللفظ.

فلكل فصل واعظ ضرب من التعبير أوحد
لا أعمل اللفظ المكر ر فيه والرأي المردد

فهنا تجد:

رصانة القديم، وشرحه الحديث.

وبليغ النثر، ورفيع الشعر.

والمجاز الرمزي، ومنطق التعليل.

والعربي من البحوث، والمعرب المترجم.

في جمع متناسق يهديك زبدة التذكير، وخلاصة الفقه.

وحسبنا ذلك وكفى:

فدونك والارتياد لنفسك وللشباب الذين معك من غرر الفكر، وأغترف علمًا بغير رشاء، واستعد لاستقبال كل أصيل، فإني لم أبق حلبة منطق إلا وقد سبقت سوابقها إليك جيادي.

ولقد بدأنا معك اليوم في هذه الحلقة ببيان ضرورة الانخلاع عن السلبية، ووجوب إنكار المنكر في عمل جماعي منظم، وسنطرق في الحلقات التالية إن شاء الله تعالى أبواب الجهاد، والزهد، وأصول التربية والتحذير من الفتن وسبل النجاة منها، وأحاديث عامة في الحث على العمل والتخلق بأخلاق المؤمنين، ومباحث أخرى في المسار المرحلي وتطوير الدعوة.

وليلتفت الأخ الداعية إلى ضرورات عدة حدت بنا إلى تجزيء هذا المواضيع وعدم نشرها في كتاب ضخم واحد، مراعيًا التكامل في معانيها، ناظرًا إلى ما في طبيعة كل حلقة من استدراك على الحلقات الأخرى، فالدعوة إلى الزهد لا تعني استساغة الزهد المبتدع وهجر الجهاد، والدعوة إلى الجهاد لا تعني التهور والمجازفة، كما أن المبالغة في الحث وإتعاب البدن في العمل لا تؤخذ على ظاهرها بعيدة عن ضوابط التربية.

ولابد أيضًا، خلال كل ذلك، من الالتفات إلى حقيقة الآراء المطروحة، وكونها من الآراء الشخصية البحتة المعبرة عن مفاهيم كاتبها فحسب، وما هي إلا اجتهادات فردية لا تمثل رأيا رسميا لجماعة من الجماعات الإسلامية العاملة، ولا تتحمل قياداتها مسئولية خطأ يرد فيها، أو غلو تتورط فيه، أو تساهل وتفريط تجنح إليه.

عمق وارتفاع

وبعد يا داعية الإسلام :

فقد قيل: إن قائل الحكمة وسامعها شريكان، أولاهما بها من حققها بعمله، فحقق هذه الحكم بعملك تكن أولى بها، وأجدر أن تنسب إليك.

وابدأ بإصلاح نفسك يصلح الذين معك من ناشئة الدعوة، فإنها وصية الإمام الشافعي، أرشد بها مؤدب أولاد هارون الرشيد، فقال:

(ليكن أول ما تبدأ به إصلاح أولاد أمير المؤمنين: إصلاحك نفسك، فإن أعنتهم معقودة بيدك، فالحسن عندهم ما تستحسنه، والقبيح عندهم ما تركته).

فانظر إلى قوله: القبيح عندهم ما تركته!

لم يقل له: القبيح عندهم ما قلت لهم إنه قبيح، بل ما لم تعمل به ولم تقربه.

وقد سئل الإمام أحمد عن: الرجل يكثر من كتابة الحديث وطلبه، أيسوغ له ذلك؟

فقال:

(ينبغي أن يكثر العمل به على قدر زيادته في الطلب).

وهذه الصفحات زيادة في العلم، سوغت لنفسك حيازتها، فوجبت عليك زكاتها، على مذهب الإمام أحمد.

فامض قدمًا، واقتحم.....

أنت نشء، وكلامي شعل ... علَّ شدوي مضرم فيك حريقا

ليس في قلبي إلا أن أرى ... قطرة فيك غدت بحرًا عميقًا

لا عرى الروح هدوء، ولتكن ... بحياة الكدِّ والكدح خليقا

وما ارتفع صوت الحادي يوما لرفقة أولي صمم.

ولا ارتفع الفلك الأعلى لغير أهل الشموخ....

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *